مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد12/العدد: 02 (2022)، ص 525-540

ثقافة الممارسة المنهجية وتوظيف المنهج في العلوم الاجتماعية

The culture of methodological practice and the use of the method in the social sciences

methodological practice and the use of the method in social sciences

د/ بومدين مخلوف*

استاذ محاضر أ / جامعة محمد بوضياف المسيلة / boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2021/11/09 تاريخ القبول: 2022/09/28 تاريخ النشر: 2022/12/28

ملخص:

مجال التمعن وبدقة ضمن حقل العلوم الاجتماعية في كل اتجاهاتها واختصاصاتها، خاصة منذ بداية القرن 20- يلاحظ أنها قد بلغت شوطا من التطور والتخصص والمهنية والنضج مما جعلها تتبوأ مرتبة النموذج المرجعي الأساسي أو (البراديجم)، وتعتبر الممارسة المنهجية وعلم المناهج ضمن حقل العلوم الاجتماعية من المرتكزات المنهجية والأدواتية الممارسة في فهم وتفسير وتأطير الظاهرة، ومن آليات المعالجة الاستدلالية الأكاديمية لتحقيق المعرفة، ويمكن تلخيص المخرجات العلمية والعملية لثقافة الممارسة المنهجية وتوظيف المنهج في العلوم الاجتماعية على مستوى الأجنحة العملية: (القطيعة)، (البناء)، (المعاينة)، والأجنحة المرحلية: (سؤال الانطلاق)، (الاستطلاع)، (الإشكالية)، (بناء منهج التحليل)، (المعاينة)، (تحليل المعلومات)، (التحقق).

كلمات مفتاحية: الممارسة المنهجية، توظيف المنهج، العلوم الاجتماعية.

Abstract:

The scope of accurate contemplation within the social sciences field in all its perspectives and specializations, especially since the beginning of the 20th century - it is noted that it has reached a significant stage of development, specialization, professionalism and maturity, which made it accede to the rank of the basic reference model or (paradigm).

* - بومدين مخلوف: جامعة محمد بوضياف المسيلة/ boumediene.makhlouf@univ-msila.dz

The methodological practice and curriculum within the field of social sciences are considered among the methodological and instrumental pillars utilized in understanding, interpreting, and framing the phenomenon as well as among the mechanisms of academic inferential treatment to achieve knowledge. The scientific and practical outputs of methodological practice and the use of the method in social sciences can be summed up at the level of the practical wings: (Alienation), (construction), (examination); and phased wings: (starting question), (survey), (problematic), (construction of analysis method).), (Examination), (information analysis), (verification).

Keywords: (systematic practice) (function of method) (social science)

Résumé :

Le domaine de la contemplation et de l'exactitude au sein du domaine des sciences sociales dans toutes ses directions et spécialisations, surtout depuis le début du 20e siècle - il est à noter qu'il a atteint un stade de développement, de spécialisation, de professionnalisme et de maturité, qui l'a fait occuper le rang du modèle ou (paradigme) de référence de base. Les fondements méthodologiques et instrumentaux pratiqués pour comprendre, interpréter et cadrer le phénomène, et des mécanismes de traitement inférentiel académique pour parvenir à la connaissance. : (La question de départ), (L'exploration), (La problématique), (La construction du modèle d'analyse), (L'observation), (Analyse des informations), (Conclusion). **Mots clés:** (pratique systématique) (fonction de la méthode) (science sociale).

مقدمة:

تعد الممارسة المنهجية la méthodologie، بمدارسها التحاقلية المختلفة من التواليف النظمية والنظرية التي يرتكز ويتأسس عليها البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، وذلك في بناء وتشكيل الأفكار والتصورات والاستشرافات والتنظيرات العلمية والعملية للواقع الاجتماعي.

وكحقل اشتغالي معرفي في مسار العلوم الاجتماعية بتعدد تخصصاتها الفاعلة: "علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة، علوم التربية، الانثربولوجيا، علم السكان، الارطوفونيا".

وبمدارسها المتنوعة والثرية ومناهجها وأدواتها المختلفة حسب خصوصية مفاهيمها وطبيعة ظواهرها: "الماكرو سياقية، والميكرو نسقية"، يمكن اعتبار الثقافة المنهجية وتوظيف المنهج من بين الممارسات الأساسية في العلوم الاجتماعية، ومن بين الأهداف العلمية والعملية لثقافة الممارسة المنهجية وتوظيف المنهج في العلوم الاجتماعية في النقاط الآتية:

- الانحياز العلمي وتوظيف المنهج المناسب بهدف فهم وكشف الظاهرة.
- نفي الذاتية والتخصصية في عملية تأطير الظاهرة.
- توظيف الأدوات المواءمة بهدف تشريح الظاهرة.
- تشغيل الأدوات المناسبة والإصغاء لما تقوله الظاهرة.

وبعيدا على المقاربات الصفرية نرى أن الممارسة المنهجية العملية تتجسد في:

- من حيث الهندسة تجسد مدلول القطيعة الأفقية والتخصصية.
- من حيث التصميم فهي تفكيكية مفاهيمية للمتغيرات ضمن الأبعاد النسقية (الميكرو سياقية).
- من حيث التحليل فهي بنيوية انتقائية للمؤشرات الاشتغالية (الماكروسياقية).

وكانحياز علمي للمقاربات الميكرو سياقية فإنها تقارب الرصد التخصصي خصوصا من حيث:

- الترابطات وتموقع المرحلة الاستطلاعية.
- تقاطعها بإحداثيات سؤال الانطلاق غير القابل للانفصال.
- توظيف المقاربات النسقية المنهجية والأدواتية لتشريح الظاهرة الاجتماعية، التي تشتمل مجموعة الأجزاء المترابطة (مقاربة في العلاقات)، والرتب والمستويات المتفاوتة (الروابط والتقاربات).

أهداف المقال:

- استشراف ثقافة منهجية معيارية تساهم في تأطير الدراسات السوسيولوجية.
- اعتماد آليات توظيف الأوعية المفاهيمية التخصصية في الدراسات السوسيولوجية.
- إرساء قاعدة بحثية أفقية تهتم بالدراسات الأكاديمية في مجال التنظير والتأطير السوسيولوجي.
- تجديد آليات المعالجة الاستدلالية والدقة في ممارسة المقاربات العينية التمكينية.

I. المحاور الأساسية للعلوم الاجتماعية:

يرى الكثير من المشتغلين والباحثين أن المحاور الأساسية للعلوم الاجتماعية "الحقول الاشتغالية" تتجسد في ثلاث أبعاد محورية، يسعى إليها الفاعل السوسيولوجي إلى:

- استشراف: تنظيرات علمية وعملية تساعد في فهم وتفسير المجتمع في تركيبته وبناءه: "سياقاته"، وأجزائه: "أنساقه"، والتي تتمثل في:

1. المعرفة العلمية:

- التصورات والأفكار والتنظيرات التي يتم اكتسابها بأسلوبية دقيقة ومنظمة باستخدام المنهج العلمي.

2. الو اقع الاجتماعي:

- الخصوصيات والجوانب الرمزية والثقافية والعقائدية التي تميز المجتمع في منظومة فعله الاجتماعي ونسيجه البنيوي.
- التحولات والرهانات والأزمات المجتمعية الحاضرة والمستقبلية.
- العلاقات والتفاعلات والاندماجات والمشاهد النفسية والاجتماعية والثقافية.
- الأدوار والوظائف الخاصة والمؤسساتية.
- الوقائع الإنسانية والاجتماعية في سياقاتها الجغرافية والثقافية والتاريخية.
- النظام الاجتماعي: "الأنساق والسياقات"، البراديغم: "الماكرو والميكرو اجتماعي".
- الصراع بين الذات والآخر.
- الوعي بالذات والوعي بالمجتمع.
- الأفكار وسلوك الأفراد.

3. الأدوات المنهجية:

- المناهج: "الكمية والكيفية".
- المرتكزات والأساليب الأدواتية:

"الملاحظة، الفرضية، التجربة"، وممارستها.

- القراءات الاستدلالية والمعالجات المعيارية.

II. الممارسة المنهجية في العلوم الاجتماعية:

تعد الممارسة المنهجية الميكرو سياقية la méthodologie بمدارسها التحاقلية المختلفة من التواليف النظمية والنظرية التي يرتكز عليها البحث العملي في العلوم الاجتماعية في بناء المقاربات للظاهرة الاجتماعية، على اعتبار الأجنحة العملية والمرحلية الماكرو سياقية التي يجمعهما حقل اشتغالي واحد ومناهج وأدوات تحليل مختلفة.

وكحقل اشتغالي معرفي وبعيدا على المقاربات الصفرية نرى أن المنهجية العملية ترادف الطرح الغاستوني Gaston Bachelard فهي من حيث الهندسة تجسد مدلول القطيعة الأفقية والتخصصية، ومن حيث التصميم فهي تفكيكية مفاهيمية للمتغيرات ضمن الأبعاد النسقية "الميكرو سياقية"، ومن حيث التحليل فهي بنيوية انتقائية للمؤشرات الاشتغالية "الماكروسياقية".

وكانحياز علمي للمقاربات الميكرو سياقية فإنها تقارب الرصد الكوبينهودي Luc van Campenhoudt خصوصا من حيث الترابطات وتموقع المرحلة الاستطلاعية وتقاطعها بإحداثيات سؤال الانطلاق غير القابل للانفصال، وتوظيف المقاربات النسقية المنهجية والأدواتية لتشريح الظاهرة الاجتماعية، التي تشتمل مجموعة الأجزاء المترابطة "مقاربة في العلاقات"، والرتب والمستويات المتفاوتة "الروابط والتقاربات".

1. **الأعمال المنهجية:** الأجنحة الماكرو سياقية.
   - القطيعة.La rupture:
   "نفي الذاتية والتلقائية والطرح بلغة تخصصية الانتقاء والاستثناء التخصصي"
   - البناء.La construction:
   "تحديد متغيرات وأبعاد ومؤشرات الدراسة بدقة"
   - المعاينة.La constatation:
   "قراءة نتائج الدراسة مع الفرضيات والدراسات السابقة والنظريات"
2. **المراحل المنهجية:** الأجنحة الميكرو نسقية.
   - سؤال الانطلاق.La question de départ:
   "يرتكز على خلفية نظرية ويكون إما نقهي أو تفسيري"
   - الاستطلاع.L'exploration:
   "الاستكشافات النظرية والميدانية"
   - الإشكالية.La problématique:
   "التعريف بالإشكالية وتحديدها وصياغتها"
   - بناء منهج التحليل.La construction du modèle d'analyse:
   "توظيف المنهج حسب خصوصية الظاهرة"
   - المعاينة.L'observation:
   "قراءة النتائج والتراكميات النظرية للحقل الاشتغالي"
   - تحليل المعلومات.Analyse des informations:
   "قراءة المعلومات حسب التخصصية الاشتغالية"

- التحقق.Conclusion:

"قراءة نتائج الدراسة مع الفرضيات والدراسات السابقة والنظريات"

III. توظيف المنهج في العلوم الاجتماعية:

مجال التمعن وبدقة ضمن حقل العلوم في كل اتجاهاتها واختصاصاتها: "العلوم الصحية، العلوم التجريبية، العلوم الإنسانية والاجتماعية، العلوم المعرفية"، خاصة منذ بداية القرن 20.

يلاحظ أنها قد بلغت شوطا من التطور والتخصص والمهنية والنضج مما جعلها تتبوأ مرتبة النموذج المرجعي الأساسي أو "البراديجم".

ويعتبر علم المناهج ضمن حقل العلوم الاجتماعية من المرتكزات المنهجية والأدواتية الممارسة في فهم وتفسير وتأطير الظاهرة، ومن آليات المعالجة الاستدلالية الأكاديمية لتحقيق المعرفة.

ومجال التمعن في حقل اللغة العربية نجد أن:

المنهج هو الطريق الواضح: طريق نهج: بين واضح، وهو: النهج والجمع: نهجات ونهج ونهوج، وطرق، وسبيل منهج، ومنهج الطريق: وضحه، ونجد المنهج في القرآن الكريم الآية رقم 48 من سورة: المائدة " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا".

وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجا واضحا بينا، واستنهج الطريق: صار نهجا، وفلان يستنهج سبيل فلان، أي يسلك مسلكه، و النهج: الطريق المستقيم كما هو وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة. (علي معمر عبد المؤمن، 2008م، ص. 11، 12)

وفي سياق خاص كتبت الباحثة: "Madeleine Grawitz":

" المنهج يتميز بغموض عادة ما يكون بين فيما يخص المنهج في معناه المستقى من الميدان"، وفي المقابل نجد: "جان بياجيه Jean Piaget": "لاحظ أنه لا يوجد تخصص مستقل، كون مشكلات الإبستيمولوجيا و المنطق تطرح دائما أسئلة المنهج". (Madeleine Grawitz, 1981, p. 18,19)

وبهذه الماهية للمنهج يتبين أن الاشتغال الذي ينتمي إليه الباحث: "جان بياجيه Jean Piaget"، هو اشتغال سيكولوجي ينتمي إلى حقل العلوم الاجتماعية، وبالتالي لكل تخصص من هذه الحقول العلمية منهج خاص، كما يمكنها أن توظف أكثر من منهج قصد قراءة وفهم الظاهرة.

ونجد ماهية المنهج عند: "أفلاطون Platon": هو البحث أو المعرفة، وعند: "أرسطو Aristote": هو من القواعد العامة المصاغة من أجل الدخول إلى الحقيقة في العلم، ونجد مفهوم المنهج عند كل من الباحث: "فرانسيس بيكون Francis Bacon"، والباحث: "رينيه ديكارت René Descartes": هو الكشف عن المنهج المؤدي إلى البحث عن الحقيقة في حالة الجهل بها أو البرهنة عليها للآخرين في حالة العلم بها. (علي معمر عبد المؤمن، 2008م، ص. 12)

وبهذه الماهية الفلسفية يمكن تحديد أهداف المنهج في:

- التفسير.
- الفهم.

وباختلاف الانتماءات العلمية نلاحظ تعاريف متنوعة للمنهج، وهذا حسب كل تصور خاص وبما يخدم تخصصه الاشتغالي.

ونجد الباحث: "موريس انجرس Maurice Angers"، أحد علماء المنهجية يعرف المنهج بأنه: مجموعة منظمة من العمليات بغية تحقيق هدف. (Maurice Angers, 1996, p58)

وبهذا التعريف يمكن اعتبار المنهج أنه:

- يرتكز على آليات وأدوات ترتبط بمجال التخصص الاشتغالي بغية تحقيق إضافة معرفية.

ونجد: "عبد الرحمان صالح بابكر"، يعتبر أن المنهج:

هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما:

- من أجل الكشف عن الحقيقة حيث نكون بها جاهلين.
- أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها جاهلين.
- أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حيث نكون بها عارفين.
- أو هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة، التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، من أجل الوصول إلى نتيجة معلومة. (عبد الرحمان صالح بابكر، 2015م، ص. 56)

ونجد الباحث: "عامر مصباح"، يعرف المنهج بأنه:

عدة أدوات استقصائية تستعمل في استخراج المعلومات من مصادرها الأصلية والثانوية والبشرية والمادية، البيئية والفكرية، وتنظم بشكل مترابط ومنظم ومنسق لكي تقرأ وتفسر وتشرح وتحلل ويعلق عليها. (عامر مصباح، 2010م، ص. 11)

وفي تعريف آخر للباحث: "عبد الرحمان بدوي"، يعتبر أن المنهج هو:

- الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم النظرية، وتبعا لاختلاف هذه العلوم تختلف المناهج ولكنها يمكن أن ترد إلى منهجين، هما: (الاستدلال والتجريب)، ويضاف إليها منهج ثالث خاص: بالعلوم الأخلاقية أو التاريخية هو منهج: "الاسترداد". (عبد الرحمان بدوي، 1977م، ص. 06)

وبهذا الصرح والتناظر يعتبر المنهج:

- طريقة علمية منظمة لوصف الظاهرة عن طريق جمع وتصنيف وترتيب وعرض وتحليل وتفسير وتعليل وتركيب للمعطيات النظرية والبيانات الميدانية، بغية الوصول إلى نتائج علمية توظف في السياسات الاجتماعية، بهدف إصلاح مختلف الأوضاع المجتمعية. (رشيد زرواتي2007م، ص. 87)

وبهذا الطرح الشامل يمكن اعتبار المنهج من الأوعية النسقية التي لا يمكن الاستغناء عليها في عملية تأطير الظاهرة في حقل العلوم الاجتماعية.

IV. أهمية المنهج في العلوم الاجتماعية:

في المسار السياقي لأهمية المنهج وضمن كتاب:

"مهنة السوسيولوجي Le métier de sociologue"، نجد الباحث السوسيولوجي: "بيار بورديو Pierre Bourdieu"، يتناول مسألة المنهج المستعمل من طرف الباحث المختص في علم الاجتماع:

حيث يعتبر أن الهدف المرجو من تطبيق المنهج العلمي بخطواته هو الوصول إلى فهم شامل للعالم الذي نعيش في خضمه أو لظاهرة ما. (Anne Jourdain, 2012, p20)

ومن ميزات البحث العلمي أنه يحقق عدة أهداف تتمثل في:

1. (توصيف الظواهر وتصنيفها):

الهدف الأساسي للبحث العلمي في حقل العلوم الاجتماعية هو توصيف الظواهر أو تصنيفها، ويفرق عادة بين:

- (الوصف): الذي يعني طرح ورصد عناصر الظاهرة كما هي دون،مرشد سابق.
- أما (التصنيف): فيعني القيام بذلك طبقا لعناصر أو متغيرات محددة سلفا. (رحالي حجيلة، 2015م، ص. 24)

2. التفسير:

ويرتبط بالإجابة على التساؤل:

- "لماذا حدث؟":
  - أي تحديد التغيرات التي أنتجت الظاهرة بالشكل الذي وصفناها به، ووضعها في إطارها الكبير من خريطة العلاقات بغية الوصول إلى تعميمات و نظريات، وبصفة أخرى تجميع معظم جزئيات الظاهرة في منطق واحد، وفي هذا الصدد يقول "الكلالدة":

إن التفسير هو عبارة عن تقديم:

- دليل توافقي وربط الأسباب بالنتائج والمدخلات بالمخرجات،

- معرفة العلاقة التي تربط المتغيرات مع عناصر الأحداث وأجزائها.
- التفسير يحتاج إلى قدرات عقلية وإدراكية وخلفية علمية قادرة على فهم مجريات الأحداث وبواعثها وأسبابها بالإضافة إلى أن الباحث يجب أن تكون لديه القدرة على التحليل وعمل المقارنات ومعالجة الوقائع ببراعة،والباحث في عملية التفسير بحاجة إلى إثبات وجهة نظره وتقديم الأدلة والبراهين المقنعة والعلمية. (رحالي حجيلة، 2015م، ص. 24)

3. التنبؤ:

ويرتبط بالإجابة على التساؤل التالي:

- " ماذا سيحدث مستقبلا":
- أي بمعنى آخر تصور النتائج التي يمكن أن تحدث إذا طبق الباحث القوانين التي اكتشفها على ظواهر ومواقف وأحداث جديدة. (محمد مزيان، 1999م، ص. 05)

وبهذه الأسلوبية التي تتمثل في: "الوصف والتعليل والتنبؤ"، يمكن للباحث في حقل العلوم الاجتماعية:

- أن يتحكم في الظاهرة موضع الدراسة أو في جزء منها، وهذه هي تقريبا مميزات البحث العلمي والتي لا تأسيس لها من دون منهج علمي، وتوظيفه بدقة وفعالية وأسلوبية.

V. تصنيف المناهج في حقل العلوم الاجتماعية:

الملاحظ أن تصنيفات المناهج تعددت من حيث الخلفية النظرية، ويمكن أن تصنف المناهج إلى:

1. المناهج المرتكزة على التحليل الكمي للبيانات والدراسات الأمبريقية، نذكر منها:

- **المنهج الوصفي:**

وهو طريقة علمية منظمة لوصف الظاهرة عن طريق جمع وتصنيف وترتيب وعرض وتحليل وتفسير وتعليل وتركيب للمعطيات النظرية والبيانات الميدانية بغية الوصول إلى نتائج علمية توظف في السياسات الاجتماعية، بهدف إصلاح مختلف الأوضاع المجتمعية. (رشيد زرواتي، 2007م، ص.87.)

2. المناهج المرتكزة على التحليل البنيوي والمقارن نذكر منها:

- **المنهج المقارن:**

يتم توظيف هذا المنهج حين غياب قابلية توظيف المنهج التجريبي "حسب طبيعة الموضوع".

وهذا ما يدفعنا إلى المقارنة التي هي في الأساس تجريب بطريقة غير مباشرة، حسب وجهة نظر إميل دوركايم. (Madeleine Grawitz, 1981, p 434)

- **المنهج التاريخي:**

يرسخ هوية وحضارة الشعوب.

ومن جهة أخرى لا يمكن فهم الحاضر وتحليله إلا بالرجوع إلى حلقات الماضي ومن ثم ظهر المنهج التاريخي من أجل بلوغ هذا الهدف، ومن ضمن معاني المنهج التاريخي أو الاسترادادي:

أي أنه ذلك المنهج الذ ي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعا لما تركه من آثار، أيا كان نوع هذه الآثار.

وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية. (بلقاسم سلاطنية، 2014م، ص.51، 52)

- **منهج تحليل المضمون:**

يركز كثيرا هذا التعريف المزدوج على المضامين أو المحتويات الخاصة بالرسائل التي بدورها تتكون على الأقل من مرسل ومستقبل، ونجد هذا المنهج يستخدم في:

- "تحليل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القائمة في أي مجتمع في الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا النوع من الأبحاث،مفيد بالنسبة لمعرفة عوامل التغيير الاجتماعي، وردود فعل الناس لقرارات القيادة والسياسة، فالتقارير التي تأتي إلى وزارة معينة يمكن دراستها بطريقة موضوعية والتعرف على آراء الجهات التي تتراسل مع الوزارة المعنية. (عمار بوحوش، 2002م، ص. 43)

VI. شرطية المنهج في العلوم الاجتماعية:

باعتبار المنهج العلمي يتميز بخاصية: الجمع بين المنطق والمشاهدات الإمبريقية.

وباعتباره مصدر للمعرفة العلمية في حقل العلوم الاجتماعية بتخصصاتها الفاعلة، يمكن إبراز بعض السمات والتي تتمثل في: (عامر مصباح، 2010م، ص. 12)

- المنهج يفترض نوعا من الانتظام والتكرار في الطبيعة المحيطة بنا.
- المنهج يمكننا من معرفة الطبيعة.
- المنهج يفترض أن الظواهر الطبيعية لها أسباب طبيعية فلا يمكن استخدام المنهج العلمي في تفسير ظواهر ترجع إلى عوامل خارقة للطبيعة.
- المنهج يساعد على تقديم أدلة للتحقق من صدق المقولات المطروحة.
- المنهج العلمي يتميز بذاتية التصحيح:يصحح ذاته.

- المنهج العلمي يتميز بوجود قواعد واضحة في البحث.
- المنهج العلمي نظامي ومنضبط.
- يساعد المنهج على التراكمية المعرفية.

وبهذا الصرح يتميز المنهج العلمي بخاصية الموضوعية ويبتعد عن الأفكار الذاتية والعاطفية والشخصية، فهو لا يعتمد على الشائعات ولا على مصادر الثقة ولا يتقبل الأفكار مهما كانت قيمتها، إلا إذا أثبتت التجربة صحتها، فكثيرا من المسلمات التي كان يؤمن بها العلماء على أنها بديهية، أثبتت التجربة العلمية عدم صحتها. (بلقاسم سلاطنية، 2014م، ص.47)

والحقيقة الثابتة في حقل العلوم الاجتماعية هي التغير.

لذلك أهم صفات المنهج العلمي ضمن هذه الحقول هي قابليته للتغيير، فالمناهج ليست أشياء ثابتة على الدوام، حيث يؤكد: (عبد الرحمان بدوي): على الفيلسوف أو المنطقي أن يفهم أن المناهج ليست أشياء ثابتة، بل هي تتغير وفقا لمقتضيات العلم وأدواته، ويجب أن تكون قابلة للتعديل المستمر حتى تستطيع أن تفي بـ مطالب العلم المتجددة، وبالتالي لابد أن يعدل على الدوام والنتيجة لهذا فإن المناهج العلمية في تغير، وهذا التغير يستعين بتغير العلم وحاجاته. (بلقاسم سلاطنية، 2014م، ص.49)

وفي سياق العمل بمخرجات علماء المناهج وشروط العلم في مختلف التخصصات، يمكن تحديد الخصوصيات الشرطية للعلم في النقاط التالية: (محمد قاسم، 1999م، ص. 23)

- أن يتأسس على قاعدة ملموسة: (الموضوع).
- أن يوظف المنهج العلمي: (الملاحظة، الفرضية، التجربة).
- إضافة مخرجات علمية: (القانون، النظرية).

VII. الأدوات المنهجية في العلوم الاجتماعية:

1. الملاحظة:

تعتبر الملاحظة إحدى أدوات جمع البيانات، وتستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية، كما تستخدم في جمع البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة أو الوثائق والسجلات الإدارية أو الإحصاءات الرسمية والتقارير أو التجريب ويمكن للباحث تبويب الملاحظة، وتسجيل ما يلاحظه الباحث من المبحوث سواء كان كلاما أم سلوكا (رشيد زرواتي، 2008م، ص. 214)

2. المقابلة:

تحتل الاستمارة مكانة هامة في البحث السوسيولوجي، وتعتبر من الأدوات الأساسية الأكثر استعملا وانتشارا في الدراسات الإمبريقية وذلك لما توفره من بيانات حول الموضوع المراد دراسته، وتعرف المقابلة بأنها:

وسيلة تقوم على حوار أو حديث لفظي مباشر بين الباحث والمبحوثين وهناك نوعين من المقابلة: النوع الأول وهو المقابلة الحرة والتي كثيرا ما تستخدم في الدراسات الاستطلاعية والاستكشافية، إذ عادة ما يلجأ إليها الباحث بهدف الاطلاع بعمق على جوانب وخبايا الموضوع والذي يكون غامضا بالنسبة إليه، أما النوع الثاني فهو المقابلة المقننة وهي عبارة عن دليل يشتمل على قائمة أو مجموعة من الأسئلة المحددة والمرتبة ترتيبا منهجيا معينا، وتتضمن عدة مواضيع فرعية ومقصودة، بمعنى توجه هذه الأسئلة إلى المبحوثين بهدف الحصول على المعلومات والبيانات المنتظرة من البحث. (مسعودة كنونة وآخرون، 1999م، ص.187)

3. الاستمارة:

الاستمارة هي مجموعة أسئلة تطرح لأفراد عينة البحث، والتي تعطينا إجابات قابلة للعرض والتحليل والتفسير والتعليل والتركيب للوصول إلى نتائج تجيب على تساؤلات الإشكالية، وفرضيات البحث، كما تخدم هدف البحث. (رشيد زرواتي، 2007م، ص. 220، 221)

فالاستمارة هي الوسيلة العلمية والأداة المنهجية التي من خلالها يمكن التعرف على معلومات وآراء وأفكار المبحوثين.

VIII. المقاربة الكمية والمقاربة الكيفية:

- **المقاربة الكمية:**

تتعامل المقاربة الكمية مع الأرقام والإحصائيات والنسب والبيانات، ومن ثم فهي تعتمد اعتمادا كليا على القياس والكشف عن العلاقة الموجودة بين المتغيرات الخاصة بالظاهرة محل الدراسة.

والغرض من استخدام المناهج الكمية هو الحصول على حقائق تبين العلاقة بين عدة متغيرات على مجموعة كبيرة من الأشخاص تمتد من بعض المئات إلى الآلاف، خاصة عند القيام بعملية سبر الآراء و هذا ما فعله: "Durkheim" عند دراسة لظاهرة: الانتحار، لما ربط هذا الأخير بدرجة انتشار الطلاق في مجتمع ما، معللا ذلك بطبيعة الانتماء الديني للأفراد في مجتمعات أوروبية مختلفة. (لمياء مرتاض نفوسي، 2015م، ص. 42)

- تعتمد المقاربة الكمية بشكل كبير على الأرقام، الإحصائيات، الرسومات البيانية، النسب المئوية، المجسمات، الجداول، وهذا ما يجعلها أكثر دقة ويقينية من حيث النتائج المتوصل إليها، وبالتالي فالحقيقة موضوعية إلى حدٍ كبير ما يجعلها قابلة للتعميم وهذا أيضا راجع إلى دقة ضبط أداة جمع البيانات.
- من ميزات المنهج الكمي أنه مناسب للعديد من العلوم والتخصصات وهذا لتوفر المعلومات عن الموضوع المدروس وبالتالي سهولة تطبيقه.

- **المقاربة الكيفية:**

المقاربة التفسيرية: "وهي مناهج تهدف أساسا إلى فهم الظاهرة موضوع الدراسة، بحصر معنى ومدلول الأقوال، التي تم جمعها أو السلوكات التي تمت ملاحظتها. (Maurice Angers, 1996, p 60)، وبالتالي فالهدف منها هو فهم التأويلات المختلفة وكذا الآراء والخبرات.

- يستخدم هذا النوع من المقاربات في حال وجود ظواهر معقدة تحتاج إلى دراسة انطلاقا من هذا المنهج، ومن ثم القدرة على الدخول إلى أعماق الظاهرة.
- الاعتماد على الوصف الناجم عن الملاحظة "شبكة ملاحظة" والكتابة بأسلوب جيد بسيط ومفهوم، عكس المقاربة الكمية التي تعتمد على المعطى العددي.
- الاستعانة بالحوار أو المقابلة أو المقابلة المعمقة "سيرة الحياة"، باعتبار أنها أدوات مرنة وبالتالي الاكتفاء ببضع حالات من أجل البحث في الظاهرة عكس المقاربة الكمية أو الوضعية التي تعتمد على العينة "القياس أو التكميم".
- غالبا ما يركز المنهج الكيفي على العمل الميداني، وهذا ما لا يوليه اهتماما كبيرا المنهج الكمي.

هذه بعض الفروقات الموجودة بين المقاربتين، ومنه فطبيعة الموضوع هي التي تشترط على الباحث اختيار مقاربة وفي بعض الحالات يحتاج الباحث إليهما معا، كي لا يبقى الموضوع المعالج ناقصا أو مجرد أرقام وإحصائيات وبالتالي يحتاج إلى فهمها وتفسيرها.

IX. العناصر الأساسية في المنهج العلمي:

- الملاحظة:

وهي أداة من أدوات جمع المادة العلمية والمعطيات الميدانية ذات تاريخ عريق إذ استخدمها العلامة "ابن خلدون" في تمحيص وتدقيق بعض الأخبار المروية لإعطائها سمة الموضوعية، "تستخدم في البحوث الميدانية لجمع البيانات التي لا يمكن الحصول عليها عن طريق الدراسة النظرية أو المكتبية كما تستخدم في البيانات التي لا يمكن جمعها عن طريق الاستمارة أو المقابلة أو الوثائق والسجلات والإحصاءات الرسمية أو التجريب. (رشيد زرواتي، 2007م، ص. 205)

- وضع الفروض:

يمكننا تعريف الفرضية على أنها "أفكار مبدئية تدرس العلاقة بين الظواهر قيد الدراسة والبحث والعوامل الموضوعية المؤثرة فيها، وإن وضع الفرضيات في أي بحث علمي أساسية لا يستغنى عنها وهي المرحلة الثانية التي تلي الإشكالية في البحوث الاجتماعية، وهي إجابة مؤقتة أو احتمالية يمكن ثبوتها كما يمكن تفنيدها وعلى اختلاف أنواعها فهي تساعد الباحث في هيكلة بحثه وتنظيمه. (أحمد عياد، 2006، ص. 84)

- اختبار الفروض:

السمة الأساسية للفرضية هي إمكانية اختبارها وإمكانية إعادة تلك الاختبارات، وغالبا ما يجري تفحصها من قبل العلماء المختصين للتأكد من سلامة وصحة التجربة، وقد تأخذ هذه العملية سنوات،

وفي الكثير من الحالات لا تمضي الفرضيات بعيدا في المنهج العلمي لأنه من الصعب جمع مقدار كافٍ من الأدلة الداعمة لها. (أحمد بدر، 1996، ص. 61)

- التعميم:

من خطوات المنهج العلمي عملية التعميم، كتعميم وحدة على وحدات أخرى، أو تعميم ظاهرة على ظواهر أخرى تكون مشابهة لها أو تحمل نفس خصوصياتها ومن ثم يمكننا القول بأن "عملية التعميم. تعني في مدلولها المنطقي، جعل الكل يحمل حكم الجزء أو بعض الأجزاء، هو ما يعرف بعملية الاستقراء الناقص. (أحمد عباد، 2006، ص. 13)

خاتمة:

يمكن تلخيص المخرجات العلمية والعملية لثقافة الممارسة المنهجية وتوظيف المنهج في العلوم الاجتماعية على مستوى الأجنحة العملية والأجنحة المرحلية، و التقيد بالموضوعية حتمية ضرورية للباحث السوسيولوجي في معالجة الظواهر الاجتماعية، فالتفكير الموضوعي شرطية حتمية للبحث العلمي في العلوم الاجتماعية ، لأنه يتطلب أسلوبية وممارسة ضابطة ومنتظمة ودقيقة وعميقة في قراءة الظاهرة الاجتماعية ضمن حقل العلوم الاجتماعية بكل تخصصاتها الفاعلة، وتتجسد أهمية ثقافة الممارسة المنهجية وتوظيف المنهج في العلوم الاجتماعية في النقاط التالية:

- التغذية بالحقائق التراكمية الشاملة وكل التصورات والمفاهيم والنظريات.
- تجديد الأوعية المفاهيمية ووقاية وعلاج الأزمات المجتمعية وإعادة انتاج الوعي.
- استشراف مشاريع معيارية تساهم في تأطير الظاهرة الاجتماعية.
- تعزيز المعارف والقيم والارتقاء بها وممارستها وتوظيفها في سياقتها التخصصية.
- توظيف المقاربات النظرية الأكثر إثراءا للمعرفة ضمن حقل العلوم الاجتماعية.
- إرساء قواعد ومرتكزات منهجية وأدواتية تخصصية دقيقة وهادفة.
- تجديد آليات المعالجة الاستدلالية وممارسة المقاربات العينية التمكينية.
- الارتقاء بالكفاءة المنهجية في دراسة التحولات والرهانات والأزمات المجتمعية الحاضرة والمستقبلية.

ومن بين الحقول الابستيمولوجية في توظيف المنهج العلمي في العلوم الاجتماعية:

- شرطية الإنحياز العلمي وتحديد الهدف بدقة. القيمة المضافة.
- حتمية تصميم وغلق التسلسل التفكيكي: المتغيرات، الأبعاد، المؤشرات.
- تحديد المفاهيم والمفاهيم ذات الصلة.
- تجسيد الأوعية المفاهيمية التخصصية للدراسة.
- نفي الذاتية، والتخصصية في عملية تأطير الظاهرة.
- توظيف المنهج بهدف فهم وكشف الظاهرة.
- توظيف الأدوات المواءمة بهدف تشريح الظاهرة.
- تشغيل الأدوات المناسبة وينبغي الابتعاد عن: الانفعال والفاعلية.
- الابتعاد عن توظيف المقاربات الصفرية.
- ينبغي التعامل مع الظواهر الاجتماعية كأشياء.
- الإصغاء لما تقوله الظاهرة سواء كانت الظاهرة معتلة أو سليمة.

المراجع:

1) - رشيد زرواتي: تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، قسنطينة، 2008م.
2) - رشيد زرواتي: مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عين مليلة، الجزائر، 2007م.
3) - عامر مصباح: منهجية البحث في العلوم السياسية والإعلام، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 2010م.
4) - عبد الرحمان بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الطبعة الثالثة، الكويت، 1977م.
5) - عبد الرحمان صالح بابكر: المختصر في البحث العلمي ومناهجه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015م.
6) - علي معمر عبد المؤمن: البحث في العلوم الاجتماعية، الوجيز في الأساسيات والمناهج والتقنيات، الطبعة الأولى، منشورات جامعة 7 أكتوبر، 2008م.
7) - عمار بوحوش: دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
8) - محمد قاسم: المدخل إلى مناهج البحث العلمي، النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1999م.
9) - محمد مزيان: مبادئ في البحث النفسي والتربوي، دار الغرب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 1999م.
10) - مسعودة كنونة وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، منشورات جامعة قسنطينة، الجزائر، 1999م.
11) أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1996م.
12) أحمد عياد: مدخل لمنهجية البحث الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م.
13) بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلالي: منهجية العلوم الاجتماعية، دار الهدى للطباعة و النشر، عين مليلة، الجزائر، 2014م.
14) رحالي حجيلة: الوجيز في المنهجية للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2015م.
15) لمياء مرتاض نفوسي: ديناميكية البحث في العلوم الإنسانية، دار هومة، الجزائر، 2015م.
16) - Maurice Angers, Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines CASBAH- Alger 97/CEC Québec 1996.
17) -Anne Jourdain et Sidonie Noulin, Sociologies contemporaines, La théorie de Pierre Bourdieu et ses usages sociologiques , Armand Colin, Paris, 2012.
18) Madeleine Grawitz, Méthodes des Sciences Sociale, Dalloz, cinquième éditions, France, 1981.